أسماء الله الحسنى

الرؤوف -جل جلاله-

الأربعون

العلم بأسماء وصفاته أشرفُ العلوم وأفضلُها وأعلاها مكانةً وأجلُّها شأناً، وشرف العلم وفضلُه من شرف معلومه، ولا أشرف وأفضل من العلم بالله وأسمائه وصفاته الواردة في الكتاب والسنة، ولهذا فإنَّ الاشتغال بفهمه والعلم به والبحث عنه اشتغال بأشرف المطالب وأجلِّ المقاصد.

قال الأصفهاني -رحمه الله-: قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: أَوَّلُ فَرْضٍ فَرَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ مَعْرِفَتُهُ فَإِذَا عَرَفَهُ النَّاسُ عَبَدُوهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (فَاعْلَم أنه لَا إِلَه إِلَّا الله). فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَعْرِفُوا أَسْمَاءَ اللَّهِ وَتَفْسِيرَهَا فَيُعَظِّمُوا اللَّهَ حَقَّ عَظَمَتِهِ. قَالَ: وَلَوْ أَرَادَ رَجُلٌ أَنْ يَتَزَوَّجَ إِلَى رَجُلٍ أَوْ يُزَوِّجُهُ أَوْ يُعَامِلُهُ طَلَبَ أَنْ يَعْرِفَ اسْمَهُ وَكُنْيَتَهُ، وَاسْمَ أَبِيهِ وَجَدِّهِ، وَسَأَلَ عَنْ صَغِيرِ أَمْرِهِ وكبيره، فَاللهُ الَّذِي خلقنَا ورزقنا وَنحن نرجوا رَحْمَتَهُ وَنَخَافُ مِنْ سَخَطِهِ أَوْلَى أَنْ نَعْرِفَ أَسْمَاءَهُ وَنَعْرِفَ تَفْسِيرَهَا [الحجة في بيان المحجة (1/ 134)]

من يقرأ كتاب الله بتمعن، ويهتم بالسنة المطهرة، فإنه يجد باب الأمل مفتوحاً، وباب الرجاء على مصراعيه؛ فإن رحمة الله بعباده وحِلْمه ورأفته أكبر من رحمة الأم بطفلها، حين كانت تدور هلعاً في ميدان المعركة فقال رسول الله -ﷺ- لأصحابه، وقد حملته بحنان والصقته بحنان بصدرها لتهدأ، حين رآها على هذه الحال "هل ترونها مُلْقية ولدها في النار؟"، قالوا: لا، قال "إن الله أرأف بعباده من هذه بولدها".

قال النبي -ﷺ-: "إنَّ الله خَلَقَ، يَوْمَ خَلَقَ السموات وَالأرْضَ، مِائَةَ رَحْمَةٍ، كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الأرْضِ رَحْمَةً، فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ". مسلم

مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الرَّؤُوف، وَهُوَ الرحيمُ لِعِبَادِهِ العَطُوفُ عَلَيْهِمْ بألطافه.

فالله عزَّ وجلَّ هو الرؤوف المتناهي في الرحمة بعباده، لا راحم أرحم منه سبحانه ولا غاية وراء رحمته.

الدليل على ثبوت الاسم من القرآن الكريم:

سمى الله تعالى نفسه الرؤوف في عشر آيات من كتابه تعالى، منها: قوله تعالى: " وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ " [النور:20] وقوله -عزَّ وجلَّ-: " رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ " [الحشر:10].

المعنى اللغوي للاسم:

- الرأفَةُ: أشدُّ الرحمة، والرأفة في حق البشر، هي: امتلاء القلب بالرقة، وهي أشد ما يكون من الرحمة، وقيل: بل شدة الرحمة ومنتهاها.

قال تعالى: (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ) [النور:2] يعني: لا تنظروا بأي اعتبار يمكن أن يمنحهم شيئًا من الرحمة والرقة، فلا ترحموهما فَتُسْقِطُوا عنهما ما أَمَرَ الله به من الحد.

ويمكن القول أن الرحمة تسبق الرأفة، فالرأفة هي المنزلة التي تعقبها... فإذا رقَّ القلب دعاه ذلك إلى الرحمة، وإذا رَحِم واشتدت رحمته وامتلأ القلب بها كانت الرأفة... كما يُقال: فلان رحيم فإذا اشتدت رحمته فهو رؤوف، فالرأفة آخر ما يكون من الرحمة.

ولذلك قُدِمَت الرأفة على الرحمة في وصف نبينا، كما قال تعالى "بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ " [التوبة: 128] وذلك على اعتبار أن الرأفة مبالغة في الرحمة، والمبالغة في الرحمة تتعلق بخاصة المؤمنين، أما الرحمة في اسمه الرحمن فإنها تتعلق بالخلائق أجمعين، فالأمر في الرأفة والرحمة على قدر الولاية والإيمان، وعلى حسب علو الهمة في عمل الإنسان، وقد كانت رأفة النبي بأصحابه ما بعدها رأفة.

معنى الاسم في حق الله تعالى:

يقول ابن جرير " إنَّ الله بجميع عباده ذو رأفة، والرأفة أعلى معاني الرحمة، وهي عامة لجميع الخلق في الدنيا ولبعضهم في الآخرة " [جامع البيان].

قال الخطابي: الرَّؤوف: هو الرحيم العَاطِف برأفته على عباده.

والرَّؤوف سبحانه هو الذي يتعطف على عباده المؤمنين بحفظ سمعهم وأبصارهم وحركاتهم وسكناتهم في توحيده وطاعته، وهذا من كمال الرأفة بالصادقين.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: " إِنَّ اللَّهَ قَالَ: "وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ " [البخاري] .

قال ابن القيم: "لا تحسب أن نفسك هي التي ساقتك إلى فعل الخيرات، بل اعلم أنك عبد أحبك الله، فلا تفرط في هذه المحبة فينساك".

التوفيق لطاعة الله -عز وجل- والاستقامة علي شرعه نعمة من النعم العظيمة التي لا تنال بالمال مهما كثر، ولا تنال بالذكاء مهما زاد، ولا تنال بالعلم مهما اتسع، ولكنها محض فضل من الله يمتن بها على من يشاء من عباده، فمن وفقه الله تعالى لتزكية نفسه نال أعلى مراتب الرحمة وهي الرأفة، وكلما زاد الإيمان زاد حظ العبد من هذه الرأفة ؛ فأفلح وفاز، (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى) [الأعلى: 14]، فأعلى مراتب توفيق الله تعالى لعبده أن يحبب إليه الإيمان والطاعة، ويكره إليه الكفر والمعصية، وهي المرتبة التي نالها أصحاب النبي -ﷺ- وامتن الله تعالى بها عليهم في قوله: (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمان وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ)[الحجرات:7] وتوفيق الله -عز وجل- للعبد لا غنى للعبد عنه لا في الدنيا ولا في الآخرة.

ورأفة الله بعباده المذنبين، أن يفتح لهم باب التوبة ما لم تغرغر النفس أو تطلع الشمس من مغربها.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: " مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ " [مسلم].

وعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري: عَنْ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا " [مسلم].

والرَّؤوف أيضًا هو الذي يخفف عن عباده، فلا يكلفهم ما يشق عليهم أو يخرج عن وسعهم وطاقتهم.

قال تعالى: " يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا " [النساء:28] وقال: " لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ.. " [البقرة:286].

قال الحُليمي: الرَّؤوف معناه المتساهل على عباده؛ لأنَّه لم يُحملهم ما لا يُطيقون، بل حَمَّلَهم أقل مما يُطيقون بدرجاتٍ كثيرة.

ومع ذلك غلَّظ فرائضه في حال شدة القوة، وخَفَّفها في حال الضعف ونقصان القوة، وأخذَ المُقيم بما لم يأخذ به المسافر، والصحيح بما لم يأخذ به المريض ... وهذا كله رأفة ورحمة.

وقد ذكر الله تعالى أنه جعل الرأفة في قلوب بعض عباده... فقال تعالى ".. وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ... " [الحديد:27].

جَاءَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- أَنَّهُ قَالَ: "أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ؛ فَقَالَ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ اذْرُونِي فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا؛ فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ، فَقَالَ لِلْأَرْضِ: أَدِّي مَا أَخَذْتِ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: خَشْيَتُكَ، يَا رَبِّ -أَوْ قَالَ: مَخَافَتُكَ- فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ". رواه مُسْلِم.

إن رحمة الله واسعة، وسعت كل شيء، وهي تتمثل في مظاهر كثيرة لا يحصيها العبد، ويعجز الإنسان عن مجرد تتبعها وتسجيلها، سواء في ذات نفسه وتكوينه وتكريمه بما أكرمه الله به، أو بما سخر الله له من حوله ومن فوقه ومن تحته، أو فيما أنعم به عليه مما يعلمه ومما لا يعلمه وهو كثير: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ) [النحل: 18].

وَاللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- بَشَّرَ عِبَادَهُ بِقَوْلِهِ: (إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) [النَّحْلِ: 7]، فَرَبُّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وَصَفَ نَفْسَهُ بِالرَّؤُوفِ.

وَرَبُّنَا -عَزَّ وَجَلَّ- الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَحَفِظَهُ وَرَحِمَهُ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَسَخَّرَ لَهُ الْكَوْنَ كُلَّهُ، وَدَفَعَ السُّوءَ عَنْهُ، وَجَلَبَ لَهُ الْخَيْرَاتِ؛ فَهَذَا مِنْ إِحْسَانِهِ وَكَرَمِهِ.

بَلْ مِنْ رَأْفَتِهِ -عَزَّ وَجَلَّ-: أَنَّهُ يَقْبَلُ طَاعَةَ الطَّائِعِينَ مَهْمَا صَغُرَتْ، وَأَنَّهُ يَحْفَظُ إِيمَانَ مَنْ آمَنَ بِهِ فَلَا يُضِيِّعُهُ، وَهَذَا مِنْ رَأْفَتِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بِأَوْلِيَائِهِ: (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) [الْبَقَرَةِ: 143].

وَمِنْ جَلَالِ رَأْفَتِهِ: أَنْ حَذَّرَ عِبَادَهُ وَرَغَّبَهُمْ وَرَهَّبَهُمْ، وَوَعَدَهُمْ وَأَوْعَدَهُمْ رَأْفَةً بِهِمْ، وَمُرَاعَاةً لِصَلَاحِهِمْ وَمَصَالِحِهِمْ؛ (وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) [آلِ عِمْرَانَ: 30].

وَمِنْ دَلَائِلِ رَأْفَتِهِ: أَنَّهُ أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَى رَسُولِهِ لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ، قَالَ -عَزَّ وَجَلَّ-: (وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) [الْحَدِيدِ: 9].

وَمِنْ دَلَائِلِ رَأْفَتِهِ: أَنْ سَخَّرَ لَنَا وَسَائِلَ النَّقْلِ؛ كَالْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ قَدِيمًا، وَالسَّيَّارَاتِ وَالطَّائِرَاتِ وَالْقِطَارَاتِ وَغَيْرِهَا حَدِيثًا، فَاللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قَدْ قَالَ: (وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) [النَّحْلِ: 7].

وَمِنْ جَلَالِ رَأْفَتِهِ: أَنَّ مَا اشْتَرَاهُ مِنَ الْعِبَادِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ إِنَّمَا هُوَ خَالِصُ مُلْكِهِ، ثُمَّ إِنَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يَشْتَرِي مِنْهُمْ مُلْكَهُ الْخَالِصَ بِمَا لَا يُعَدُّ وَلَا يُحْصَى، قَالَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) [الْبَقَرَةِ: 207].

وَمِنْ جَلَالِ رَأْفَتِهِ: أَنَّهُ يُجِيبُ دُعَاءَ أَوْلِيَائِهِ، قَالَ -عَزَّ وَجَلَّ-: (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) [الْحَشْرِ: 10].

وَمِنْ جَلَالِ رَأْفَتِهِ: أَنَّهُ نَصَبَ الْحُدُودَ الزَّاجِرَةَ عَنِ الْحُدُودِ الْحَامِلَةِ عَلَى التَّقْوَى، فَإِنَّ الرَّأْفَةَ تُقِيمُ الْمَرْؤُوفَ بِهِ؛ لِأَنَّهَا أَلْطَفُ الرَّحْمَةِ وَأَبْلَغُهَا، قَالَ -عَزَّ وَجَلَّ-: (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) [النُّورِ: 20].

وَمِنْ دَلَائِلِ رَأْفَتِهِ: إِمْهَالُهُ لِلْكَافِرِينَ وَالْعَاصِينَ مِنْ أَنْ يَأْخُذَهُمْ بِالْعَذَابِ عَلَى غِرَّةٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، بَلْ يُمْهِلُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ، قَالَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: (أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) [النَّحْلِ: 47].

وَمِنْ دَلَائِلِ رَأْفَتِهِ: أَنَّهُ؛ (يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ) [الْحَجِّ: 65].

وَهَذِهِ رِسَالَةٌ إِلَى كُلِّ مَنْ أَدْرَكَهُ الْفَقْرُ، وَتَغَشَّاهُ الْكَرْبُ، وَتَغَيَّرَتْ مَلَامِحُهُ، وَانْكَسَرَ قَلْبُهُ.

إِلَى مَنْ أَثْقَلَهُ الدَّيْنُ، وَحَارَ فِكْرُهُ، وَتَشَتَّتَ ذِهْنُهُ؛ إِلَى مَنْ أَهْلَكَتْهُ الْأَوْجَاعُ، وَأَتْعَبَتْهُ الْآلَامُ، وَضَاقَتْ بِهِ الدُّنْيَا، وَعَجَزَ الْأَطِبَّاءُ عَنْهُ، وَأُغْلِقَ الْبَابُ دُونَهُ.

إِلَى مَنْ حَمَلَ الْهَمَّ، وَغَشِيَهُ الْغَمُّ، حَتَّى ضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ؛ إِلَى مَنْ غَابَ ابْنُهُ، وَسَافَرَ حَبِيبُهُ، وَغَادَرَ صَدِيقُهُ؛ فَضَاقَتْ نَفْسُهُ، وَرَجَفَ قَلْبُهُ؛ فَأَصْبَحَ الْوَرْدُ شَوْكًا، وَالْعَالَمُ الْجَمِيلُ كَئِيبًا؛ تَذَكَّرْ هُنَا قَوْلَهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: (إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ)[النَّحْلِ: 7]، وَرَدِّدْ: (وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ)[الْبَقَرَةِ: 207]، وَنَادِ: يَا رَؤُوفُ ارْأَفْ بِحَالِي، وَارْحَمْ ضَعْفِي، وَفَرِّجْ هَمِّي، وَاكْشِفِ السُّوءَ عَنِّي.

انْتَظِرِ الْفَرَجَ؛ فَاللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- قَالَ: (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ) [النَّمْلِ: 62].

إِنَّهُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فَمَا أَعْظَمَ شَأْنَهُ! وَأَعْلَى مَكَانَهُ! وَأَقْرَبَهُ مِنْ خَلْقِهِ! وَأَلْطَفَهُ بِعِبَادِهِ، فَإِذَا رَأَيْتَ الْحَبْلَ يَشْتَدُّ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ سَيَنْقَطِعُ، وَإِذَا اشْتَدَّ الظَّلَامُ؛ فَأَبْشِرْ بِصُبْحٍ قَرِيبٍ.

لَا تَضِقْ ذَرْعًا مَعَ الرَّبِّ الْكَرِيمِ الْفَتَّاحِ -جَلَّ وَعَلَا-، فَمِنَ الْمُحَالِ دَوَامُ الْحَالِ، وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ: انْتِظَارُ الْفَرَجِ، وَالْأَيَّامُ دُوَلٌ، وَالدَّهْرُ قُلَّبٌ، وَاللَّيَالِي حَبَالَى، وَالْغَيْبُ مَسْتُورٌ، وَالرَّؤُوفُ قَالَ: (يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ)[الرَّحْمَنِ: 29]، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: (لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا)[الطَّلَاقِ: 1]، وَالْبَرُّ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قَالَ: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)[الشَّرْحِ: 5-6].

قَدْ سَمَّى اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- رَسُولَهُ-ﷺ- بِهَذَا الِاسْمِ، فَقَالَ -جَلَّ وَعَلَا-: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) [التَّوْبَة: 128]؛ أَيْ: شَدِيدُ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ بِالْمُؤْمِنِينَ، أَرْحَمُ بِهِمْ مَنْ وَالِدِيهِمْ.

وَلِذَا كَانَ حَقُّهُ مُقَدَّمًا عَلَى سَائِرِ حُقُوقِ الْخَلْقِ، وَوَاجِبًا عَلَى الْأُمَّةِ الْإِيمَانُ بِهِ وَتَعْظِيمُهِ وَتَوْقِيرُهُ وَتَعْزِيرُهُ.

وَكَانَ مِنْ رَأْفَتِهِ -ﷺ- بِأُمَّتِهِ أَنَّهُ مَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، وَمَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، وَكَانَ يَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُطَوِّلَ فِيهَا، فَيَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَيَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِهِ؛ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ.

يَقُومُ النَّبِيُّ -ﷺ- اللَّيْلَ كُلَّهُ بِآيَةٍ؛ (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [الْمَائِدَة: 118] فَيُخْبِرُهُ رَبُّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- الرَّؤُوفُ أَنَّنَا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ.

وَالْمُؤْمِنُ يَرْأَفُ بِنَفْسِهِ فَيَسْلُكُ بِهَا إِلَى مَسَالِكَ النَّجَاةِ، وَيَقِيهَا مَوَارِدَ الْمَهَالِكِ، وَكَذَلِكَ هُوَ مَعَ غَيْرِهِ.

إِلَهِي تَرَى حَالِي وَفَقْرِي وَفَاقَتِي *** وَأَنْتَ مُنَاجَاتِي الْخَفِيَّةَ تَسْمَعُ

إِلَهِي أَذِقْنِي طَعْمَ عَفْوِكَ يَوْمَ لَا *** بَنُونَ وَلَا مَالٌ هُنَالِكَ يَنْفَعُ

إِلَهِي لَئِنْ أَخْطَأْتُ جَهْلًا فَطَالَمَا *** رَجَوْتُكَ حَتَّى قِيلَ مَا هُوَ يَجْزَعُ

إِلَهِي ذُنُوبِي جَازَتِ الطَّوْدَ وَاعْتَلَتْ *** وَصَفْحُكَ عَنْ ذَنْبِي أَجَلُّ وَأَوْسَعُ

إِلَهِي لَئِنْ أَقْصَيْتَنِي *** فَمَا حِيلَتِي يَا رَبِّ أَمْ كَيْفَ أَصْنَعُ؟

إِلَهِي يُمَنِّينِي رَجَائِي سَلَامَةً *** وَقُبْحُ خَطِيئَاتِي عَلَيَّ يُشَنِّعُ

إِلَهِي فَأَنْشِرْنِي عَلَى دِينِ أَحْمَدٍ *** مُنِيبًا تَقِيًّا قَانِتًا لَكَ أَخْضَعُ

الاعتدال في الرأفــة:

ولا بد أن تكون الرأفة في موضعها.. فكما أنها من الأخلاق الحميدة والخصال العظيمة إلا أن الشدة أنفع في بعض المواضع؛ كإقامة الحدود والأخذ على أيدي المفسدين الظالمين حين لا ينفع معهم نصح ولا لين، قال تعالى: في حد الزنا ".. وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ.. " [النور:2].

وهذا يشبه حال المريض إذا اشتهى ما يضره أو جَزَع من تناول الدواء الكريه فأخذتنا رأفة به حتى نمنعه شربه؛ فقد أعانه على ما يضره أو يهلكه، وعلى ترك ما ينفعه فيزداد سقمه فيهلك.

وهكذا المذنب هو مريض... فليس من الرأفة به والرحمة أن يمكن مما يهواه من المحرمات ولا يعان على ذلك ، ولا أن يمكن من ترك ما ينفعه من الطاعات التي تزيل مرضه ، بل الرأفة به أن يعان على شرب الدواء وإن كان كريهًا ، مثل الصلاة وما فيها من الأذكار والدعوات فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وأن يحمى عما يقوى داءه ويزيد علته وإن اشتهاه ، ولا يظن الظان أنه إذا حصل له استمتاع بمُحَرَم يسكن بلاؤه ، بل ذلك يوجب له انزعاجًا عظيمًا وزيادةً في البلاء والمرض في المآل ، فإنه وإن سكن بلاؤه وهدأ ما به عقيب استمتاعه ، أعقبه ذلك مرضًا عظيمًا عسيرًا لا يتخلص منه ، بل الواجب دفع أعظم الضررين باحتمال أدناهما قبل استحكام الداء الذي ترامى به إلى الهلاك والعطب .

ومن المعلوم أن ألم العلاج النافع أيسر وأخف من ألم المرض الباقي، وبهذا يتبين أن العقوبات الشرعية كلها أدوية نافعة يصلح الله بها مرض القلوب، وهي من رحمة الله بعباده ورأفته بهم الداخلة في قوله تعالى لنبيه " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ " [الأنبياء:107].

فمن ترك هذه الرحمة النافعة لرأفة يجدها بالمريض، فهو الذي أعان على عذابه وهلاكه وإن كان لا يريد إلا الخير...

ومن الناس من تأخذه الرأفة بهم لمشاركته لهم في ذلك المرض، وذوقه ما ذاقوه من قوة الشهوة وبرودة القلب والدياثة، فيترك ما أمر الله به من العقوبة، كمن ينادي بتعطيل الحدود الشرعية من قطع يد السارق ورفع عقوبة الزنا، وإباحة الشذوذ وغير ذلك من الأمور الانحلالية تحت دعوى الحرية، فهؤلاء من أظلم الناس وأديثهم في حق نفسه ونظرائه، وهو بمنزلة جماعة من المرضى قد وصف لهم الطبيب ما ينفعهم فوجد كبيرهم مرارته، فترك شربه ونهى عن سقيه للباقين.

فإن الرأفة والرحمة يحبهما الله ما لم تكن مضيعة لدين الله، فهذه الرحمة حسنة مأمور بها أمر إيجاب أو استحباب بخلاف الرأفة في دين الله فإنها منهي عنها. [مجموع الفتاوى بتصرف].

حظ المؤمن من اسم الله تعالى الرؤوف:

❶ استجلاب رأفة الله ورحمته، يستوجب التعبد باسمه "الرؤوف"، بأن تحسن الظن بالله، وترضى بعبادته، وتكثر من استغفاره، مع اليقين التام بوحدانيته وربوبيته، وأنه بكل شيء عليم. وعلى قدر محبته، والقرب منه، والتعلق به، تكون رأفته بك. قال - تعالى -: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ). وهل هناك رأفة أعظم من معية الله لك؟

يقول رسول الله -ﷺ-: "يَقُولُ اللهُ - تَعَالَى -: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي. فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً" متفق عليه.

❷ بِع نفسك لله، اعتقاد أن ما بذل في سبيل الله لم يضع، وإنما سيعوضه الله أضعافا مضاعفة، وذلك قوله - تعالى -: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ).

✽عن صهيب قال لما أردت الهجرة من مكة إلى النبي -ﷺ- قالت لي قريش: يا صهيب قدمت إلينا ولا مال لك وتخرج أنت ومالك والله لا يكون ذلك أبدا فقلت لهم: أرأيتم إن دفعت لكم مالي تخلون عني قالوا: نعم، فدفعت إليهم مالي فخلوا عني فخرجت حتى قدمت المدينة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «ربح البيع صهيب» مرتين.

فلكي تكون أهلاً لنيل رأفة الله سبحانه وتعالى، لابد أن تُضحي بشيءٍ عظيم تقربًا لله عزَّ وجلّ.. فإذا ما ضحيت بصدق وإخلاص، نلت رأفة الله جلَّ وعلا وحينها ستتخلَّص من قسوة قلبك ويصير طاهرًا.

❸ضرورة الحذر من مبارزة الله - تعالى - بالمعاصي، والتمادي في معاداته ومحاداته بالموبقات والمنكرات بدعوى الاتكال على رأفة الله ورحمته، بل إن ذلك يجلب غضب الرب، ويورث نقمته وعذابه. قال - تعالى -: (وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ). قال الحسن: "من رأفته بهم، حذّرهم نفسه".

❹طهّر قلبـــك حتى يمتلئ بالرحمة ... قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ "[النور:19-20].

⇦لأن العبد إذا لم يُطهّر قلبه، لن تدخله الرحمة بل سيكون قلبًا قاسيًا.. فلا يعرف معروفًا ولا يُنكِر مُنكرًا ... وحينها ستستحكم الأمراض من هذا القلب، فيمتلئ بالحقد والضغينة ويكون ممن يحبون أن تشيع الفاحشة بين المؤمنين والعياذ بالله.

ومن رأفة الله -عزَّ وجلَّ- بعباده أن أنزل عليهم القرآن؛ ليفك تلك الأغلال التي تُقيد القلب.

قال تعالى: " هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آَيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ "[الحديد:9].

فتدبُّر القرآن يُخرِج القلب من ظلمات الشهوة والقسوة إلى نور الهداية والإيمان ... ومن ظلمات الشك إلى نور اليقين ... فإذا امتلأ القلب بهذا النور، تنزلت عليه الرحمة وصار قلبًا نقيًا طاهرًا سليمًا.

❺ فقه اسم الله "الرؤوف" يقتضي تمثل صفة الرأفة في كل شؤون الحياة، فلا نعامل أنفسنا إلا بالرأفة، ولا نمشي بين الناس إلا بالرأفة، ولا ننصحهم أو ندعوهم إلى الحق إلا بالرأفة. قال - تعالى - في حق نبيه صلى الله عليه وسلم: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ...)

⇦كن رؤوفـــًا بالنـــاس.. على العبد أن يمتلأ قلبه بالرحمة والرأفة التي تشمل عامة المسلمين وخاصتهم.. عن عبد الله بن عمرو: أن رسول اللهِ قال -ﷺ-: " الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ " [الترمذي وصححه الألباني] وعليك أن تسعى في جميع الأسباب الموجبة للرحمة؛ لكي تنال رأفة الله عزَّ وجلَّ.

❻ومن أعظم مظاهر الرأفة بالمؤمنين، أن تعفو عمن ظلمك، وتصفح عمن اعتدى عليك بعد أن تمكنت منه، مهما عظم الجرم، وشنُع الاعتداء. قال - تعالى -: (وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ). وفي الآية الأخرى: (وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ)، أي لتحل الرأفة محل الانتقام، ولتحل الشفقة والرحمة محل البطش والإجرام، واجعلوا من عطفكم ورحمتكم شفيعا لمن آذاكم، فتجاوزوا عنهم، فإنه قمة التعبد باسم الله "الرؤوف".

✽ولما تمكن النبي -ﷺ- من قريش في فتح مكة، لم يغره بهم ما كانوا عليه من الصدود والتمرد، مع ما صاحب ذلك من فراق الأهل والولد والمال، وظن زعيم القوم أبو سفيان أن الهلاك قد حل بهم، حتى قال: "يَا رَسُولَ الله، أُبِيدَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ، لاَ قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ"، إذا برسول الله -ﷺ- يعفو ويصفح ويقول: "مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَلْقَى السِّلاَحَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ" مسلم. فحُقنت الدماء، وتراحم الناس بينهم، وعمت الفرحة أرجاء مكة.

إن الله - تعالى - بالمؤمنين رؤوف رحيم، يتلطف إليهم بكثرة النعم والخيرات، ويتقرب إليهم بعظيم الأفضال وجزيل العطاءات، ويتحبب إليهم بالعفو والغفران، ويفتح لهم باب التوبة والرجعان، وبعث إليهم رسولاً بهم رؤوف رحيم، صبور عليهم كريم. وتجلت لنا رأفة الله تعالى بنا في تمكيننا من الجوارح التي بها نحصل الأجر والثواب، من سمع، وبصر، ويد، ورجل.. وفي تسخير ما في السماوات والأرض لمصلحتنا الدينية والدنيوية، وفي هدايتنا إلى طريق مرضاته،

حتى جعل منا من يبيع نفسه في سبيل جنته ورضوانه، بل تصحبنا رأفته - سبحانه - في الآخرة، فيلطف بنا عند البعث، والميزان، والصراط.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ يَا رَؤُوفُ أَنْ تُدْخِلَنَا جَنَّتَكَ، وَتُعِيذَنَا مِنْ نَارِكَ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ. نسأل الله تعالى أن يرزقنا قلوبًا نقيةً طاهرةً؛ حتى ننال رأفة الله تعالى

المراجع:

❶شرح واسرار الاسماء الحسنى للشيخ هاني حلمي الرؤوف.

❷ الـرَّؤُوْفُ -جل جلاله- د عبد الله بن مشبب القحطاني.

❸ فقه اسم الله الرؤوف. محمد ويلالي.